

النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ وَآثَرُهُ فِي تَوْجِيهِ التَّابِعِ النُّحْوِيِّ فِي تَفْسِيرِ أَبِي السَّعُودِ الْبَدَلِ أَنْمُودَجَا

The qur'anic context and its influence on directing syntactic complement
“replacement ” in Abu Saud interpretation of holy qur'an.

مخلد إسماعيل سليمان أبو هلاله¹

كلية الشريعة الجامعة الأردنية

osama.mokhled@yahoo.com

جهاد محمد النصيرات

كلية الشريعة الجامعة الأردنية

تاريخ الوصول 2019/08/14 القبول 2020/10/05 النشر على الخط 2021/01/15

Received 14/08/2019 Accepted 05/10/2020. Published online 15/01/2021

ملخص:

تتناول هذه الدراسة دور النظم القرآني في توجيه التابع النحوي (البدل) ، والترجيح بين البدل و الأوجه الإعرابية الأخرى التي قد تتداخل معه في الإعراب ، و قد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي الاستنتاجي مستقصياً البدل في تفسير أبي السعود - أنموذج هذه الدراسة - ، ثم قام بدراسة مواضع البدل وتحليلها مقارناً لها مع غيره من المفسرين كالزخشري و البيضاوي اللذين تأثر بهما أبو السعود لتحقيق أهداف هذه الدراسة والإجابة عن أسئلتها. وخلصت هذه الدراسة إلى أهمية النظم القرآني في تحديد الوجه الإعرابي الذي يتوافق مع دلالة الآيات الكريمات ، ودوره في الترجيح بين الأوجه الإعرابية المتعددة ، حيث لا بد من الاستعانة بالنظم القرآني للترجيح بين هذه الأوجه الإعرابية المتعددة ، لأن الإعراب تابع للنظم القرآني و سياقه ، فالألفاظ ترتب و تُنظم وفقاً لهذه المعاني ، و كشفت عن جهود أبي السعود في توجيه التابع النحوي (البدل) وبيان فائدة مجيء البدل ، ودلالته ، وترجيح إعراب البدلية أو تضعيفه عند تعدد الأوجه الإعرابية وفقاً للنظم القرآني و سياقه.

الكلمات المفتاحية : النظم القرآني ، البدل ، الإعراب .

Abstract:

This study aims to examine the qur'anic context and its influence on directing syntactic complements “Al-badal ” in Abu Al- Saud interpretation of holy qur'an, through the inductive and deductive approach to clarify the role of quranic context in directing syntactic complement “Al-badal, as well as the proper al'aerab through studying the qur'anic context.

The most important results of the study: First : Al'aerab depends on the qur'anic context to determine it, because al'aerab is branch of meaning . Second : Abu Al- Saud's interest in directing syntactic complements “Al-badal” accordance the qur'anic context. So Abu Al- Saud compare between different views to choose the proper one accordance the qur'anic context and directing syntactic complement “Al-badal” according it.

Keywords: The qur'anic context, Al-badal, Al'aerab

البريد الإلكتروني: osama.mokhled@yahoo.com

¹ - المؤلف المرسل: مخلد إسماعيل سليمان أبو هلاله،

مقدمة

أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ ، وَ لِيَكُونَ لَهُمْ شَرْعٌ وَ مِنْهَاجٌ ، يَسِيرُونَ بِهْدْيِهِ ، وَيُطَبِّقُونَ أَوَامِرَهُ وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ ، فَأَنْزَلَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ، لِيَفْهَمُوا دِلَالَاتِهِ وَ مَعَانِيَهُ " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) يوسف ، لذلك تُعْتَبَرُ اللغة أصلاً من أصول التفسير ، الذي لا يمكن فهم القرآن الكريم بدونها ، حيث يرتبط النحو بدلالات النص القرآني ارتباطاً وثيقاً ، لذلك قد تَعَدَّدُ الأوجه الإعرابية في المسألة الواحدة ، فلا بدَّ حينئذٍ من الرجوع إلى النظم القرآني لتحديد الوجه الإعرابي الذي يتوافق مع النظم ودلالاته ، لذلك اهتم المفسرون بالتفسير اللغوي لبيان دلالة النص القرآني ، و معاني ألفاظه و تراكيبه ، لذلك جاءت هذه الدراسة تدرس قضية دلالية نحوية في تفسير أبي السعود ، ألا وهي النظم القرآني و أثره في توجيه إعراب التوابع النحوية " البديل أنموذجاً " ، والترجيح بين الأوجه الإعرابية .

وتبرز مشكلة الدراسة في : 1- أن بعض المفسرين يجعلون دلالة النص تبعاً للإعراب ، وفرغ له ، مما جعل تفسيراتهم للآيات القرآنية لا تتوافق مع النظم القرآني ، مما أحدث إشكالاً في فهم دلالات القرآن الكريم .

2- إغفال النظم القرآني في الترجيح بين الأوجه الإعرابية في التوابع النحوية . حيث نجد بعض المفسرين يذكرون أوجهاً إعرابية معتمدين على البنية ، دون الترجيح بينها ، مع أن هذا الاختلاف في الإعراب يتولد عنه دلالات ومعاني مختلفة للنص القرآني .

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة : -الكشف عن جهود الإمام أبي السعود اللغوية في توجيه التابع النحوي (البديل) في تفسيره .

- أثر النظم القرآني في توجيه التابع النحوي (البديل) في تفسير أبي السعود .
- بيان أثر النظم القرآني في الترجيح بين الأوجه الإعرابية المتعددة والبديل في تفسير أبي السعود .

أسئلة الدراسة:

- 1 -ما جهود الإمام أبي السعود اللغوية في توجيه توجيه التابع النحوي (البديل) في تفسيره ؟
- 2 -ما أثر النظم القرآني في توجيه التابع النحوي (البديل) في تفسير أبي السعود في تفسير أبي السعود ؟
- 3 - ما أثر النظم القرآني في الترجيح بين الأوجه الإعرابية المتعددة والبديل في تفسير أبي السعود ؟

أهداف الدراسة:

- أولاً : الكشف عن جهود أبي السعود في توجيه التابع النحوي البديل .
- ثانياً : بيان دور النظم القرآني و دلالاته في توجيه البديل .
- ثالثاً : الكشف عن أهمية النظم القرآني في الترجيح بين البديل والأوجه الإعرابية المتعددة .

منهج الدراسة :

المنهج الاستقرائي : استقراء مواضع التابع النحوي " البديل " في تفسير أبي السعود ، و تصنيفها و ترتيبها حسب خطة الدراسة

المنهج التحليلي : دراسة و تحليل التَّابِع النَّحْوِيَّ " البدل " في تفسير أبي السعود ، و مقارنته مع أقوال المفسرين للكشف عن دور النَّظْم القرآني في توجيه البدل بأنواعه ، والترجيح بين البدل والأوجه الإعرابية الأخرى .

تمهيد :

المطلب الأول : التعريف بأبي السعود و تفسيره :

أولاً : التعريف بأبي السعود :

هو المفسر محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي الإسكليي⁽¹⁾ الحنفي، وُلِدَ سنة ثمانمئة وتسع و ثمانين (889 هـ)⁽²⁾ بالقرب من مدينة القسطنطينية، نشأ في بيت علم و صلاح، وأتقن علوم العربية و آدابها، و اللغة الفارسية والتركية، ودرس العلم الشرعي على يد كثير من العلماء، ومن مشايخه والده: محمد بن مصطفى العمادي و قادري جلبي، ثم بعد ما أتم علومه، أصبح مدرّساً للعلوم الشرعية و اللغة العربية في مناطق كثيرة، وتقلد القضاء في بروسة⁽³⁾ فالقسطنطينية فالروم إيلي⁽⁴⁾. وأسند إليه الإفتاء سنة 952 هـ، وكان حاضر الذهن سريع البديهة⁽⁵⁾. درس على والده كتباً منها مفتاح العلوم للسكاكي⁽⁶⁾، له مؤلفات كثيرة في شتى العلوم الفقه و الأصول و التفسير، مِنْهَا التفسير المشهور عِنْد النَّاس بأبي السُّعُود، وسمَّاهُ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي أبو السعود في مدينة القسطنطينية الخامس من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة (982 هـ).

ثانياً : التعريف بالمصنّف :

تفسير أبي السعود اسمه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، فسّر أبو السعود القرآن كلّهُ مبتدأً من سورة الفاتحة و منتهياً بسورة الناس، وقسم السورة إلى مقاطع، و المقطع عدة آيات ذات موضوع، ويستمر تفسيره بأسلوب الإيجاز، حيث إنه لا يستطرد كثيراً في شرحه الآيات الكريمات دون فائدة، و طبع عدة مرات منها طبعة مكتبة الرياض الحديثة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا خمسة مجلدات، و هناك طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، بتحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ثمانية أجزاء.

¹ - قرية أسكليب تتبع لمحافظة جوروم التي تقع في شمال تركيا. وُلِدَ فيها أبو السعود، و تُسب إليها .

² - انظر : أحمد بن محمد الأدنه، طبقات المفسرين 1 \ 398، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين 2 \ 253

³ - مدينة بورصة بالتركية (Bursa) تقع في شمال غرب تركيا، كانت بورصة أول عاصمة للدولة العثمانية بين عامي (1326 م - 1365 م)

⁴ - منطقة في البلقان تشكّل اليوم الجزء الجنوبي من بلغاريا. كانت من قبل ذلك خاضعة للحكم العثماني، ثم أصبحت ابتداءً من عام 1878 م ولاية عثمانية ذات حكم ذاتي.

⁵ - انظر : الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 3 \ 32

⁶ - أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (المتوفى: 626 هـ). قسم كتابه مفتاح العلوم إلى ثلاثة أقسام : الأول : علم الصرف . الثاني : علم النحو . الثالث : علم المعاني و البيان.

ولقد تأثر أبو السعود بغيره من المفسرين و لا سيما الزخشري و البيضاوي ، حيث أشاد أبو السعود بتفسيريهما ، و أشار إلى أخذه من درهما يقول أبو السعود في مقدمة تفسيره " ... فدوّنوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقرّ بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة يتشرف بها آذان الأذهان لا سيما الكشاف ، وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل ، فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز، كأنه مرآة لا اجتلاء وجه الإعجاز. صحائفهما مرايا المزايا الحسان ، وسطورهما عقود الجمان وفلائد العقبان ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهم وممارستهم وزمان انتصايي لمفاوضتهم ومدارستهم يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق ، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق ، وأضيف إليها ما ألفتته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق ، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ، ويستدعيه جزالة نظمها الجليل " (1)

المطلب الثاني : تعريف النظم القرآني :

أولاً : النظم لغة : يقول ابن فارس : " التُّنُّ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيْفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيْفِهِ، وَنَظَمْتُ الْحُرْزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ " (2) ويقول ابن منظور : " النَّظْمُ التَّأْلِيْفُ، نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا وَنَظَمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ. وَنَظَمْتُ اللَّوْلُوَ أَيَّ جَمْعُهُ فِي السَّلَكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشَّعْرَ وَنَظَمْتُهُ، وَنَظَمَ الْأَمْرَ عَلَى الْمَثَلِ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَرَنْتُهُ بِأَخْرَ أَوْ صَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْتُهُ " (3)

فالنظم لغة جمع الأشياء معاً ، وتنسيقها بشكل حسن ، كجمع الخرز ليكون عقداً حسناً ، ثم انتقل هذا المعنى الحسي إلى تأليف الشعر و الخطب ، التي كانوا ينظمونها ، و يتبارون بها في أسواقهم

ثانياً : النظم اصطلاحاً :

أما النظم في اصطلاح البلاغين فهو لا يختلف عن معناه اللغوي ، وهو جمع الشيء ، وتنسيقه ، حيث إن النظم تنسيق الكلام ليكون تبعاً للمعاني عند المتكلم ، فالألفاظ تتبع للمعاني ، لذلك فالألفاظ تترتب وفق هذه المعاني في نظمها تقديماً أو تأخيراً و ذكراً أو حذفاً . يقول أبو هلال العسكري: " وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتُمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يُفسد الكلام، ولا يعمى المعنى؛ وتضم كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفظها ، وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها " (4)

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 4

² - ابن فارس، مقاييس اللغة 5 \ 443

³ - ابن منظور ، لسان العرب 12 \ 578

⁴ - أبو هلال العسكري، الصناعتين الشعر و الكتابة 161

أما الباقلاني فيري أن تأتي الألفاظ وفق المعاني ، فكلُّ لفظٍ يأخذ مكانه وفق المعنى الذي سبق له ، فيكون هذا أفصح و أبلغ " فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر، والأمر المتقرر المتصور، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يتبدأ تأسيسه، ويراد تحقيقه - بأن التفاضل في البراعة والفصاحة، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى، والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الآخر - فالبراعة أظهر، والفصاحة أتم " (1)

أما الخطابي فيرى أن الميزة للنظم و التأليف ، أي : أن النظم يربط عناصر النص القرآني الألفاظ والمعاني مكوناً أفصح وأعذب وأجزل نصاً ، فلا نظم أحسن منه ، فلذلك فالنظم عنده مجال الحُسْن ، فهو لجام الألفاظ وزمام المعاني " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حاملٌ ، ومعنىٌ به قائمٌ ، ورباطٌ لهما ناظمٌ . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه . وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها . والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نوعها و صفاتها " (2)

أما الجرجاني فيرى أن ترتيب الألفاظ يأتي بعد ترتيب المعاني في النفس ، فالألفاظ تبع للمعاني التي يريدتها المتكلم " وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توحى معاني النحو فيما بين الكلم وأنتك تُرتب المعاني أولاً في نفسك، ثم تتخذوا على ترتيبها الألفاظ في نُطقك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني، لم يُتصور أن يجب فيها نظم وترتيب، في غاية القوة والظهور " (3)

فالنظم القرآني : هو أن كل كلمة تأخذ مكانها في سياقها وفق المعاني التي أرادها الله في كتابه الكريم تقديماً أو تأخيراً، و ذكرراً أو حذفاً، و أفراداً أو جمعاً، و تعريفاً أو تنكيراً

المبحث الأول : أثر النظم القرآني في توجيه البدل :

هذا المبحث يدرس أثر النظم القرآني في توجيه إعراب التابع النحوي (البدل) بأنواعه الثلاثة بدل كل من كل ، بدل بعض من كل ، بدل الاشتغال لبيان علاقة النظم القرآني وسياقه في توجيهه من خلال تفسير أبي السعود ، مقارناً ذلك بأقوال المفسرين كالزمخشري و البيضاوي و أبي حيان و غيرهم مما أجد فيه فائدة علمية للكشف عن القيمة العلمية في توجيه إعراب التابع النحوي (البدل) في تفسير أبي السعود .

¹ - الباقلاني، إعجاز القرآن 42

² - الخطابي ، بيان إعجاز القرآن 27 .

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 377

المطلب الأول : البديل كل من كل (المطابق)

الآية الأولى : (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ 142 ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَذْكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ 143) (الأنعام : 142- 143)

أعرب أبو السعود (ثمانية أزواج) بدلا منصوبا من (حمولة وفرشاً) حيث قال : " (ثمانية أزواج) والمراد بها الأنواع الأربعة ، وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيداً لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والأنثى وبما في بطنها ، وهو بدلٌ من (حمولة وفرشاً) منصوبٌ بما نصبهما (1) .

ومنع أبو السعود أن يكون (ثمانية أزواج) مفعولاً به للفعل (كُلُوا) ، وما بينهما من قوله - تعالى - (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) اعتراضٌ ، أو أن يكون (ثمانية أزواج) حالاً من (ما) في قوله تعالى - (بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أي : مختلفة أو متعددة ؛ لأن النظم القرآني يأباه ، و ذلك لأن السياق جاء لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولاً إلى حمولة وفرشٍ ، ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواجٍ مترتباً على التفصيل الأول إلى الإبل والبقر ، وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ، ثم تفصيلها إلى ذكر و أنثى ، لبيان كذبهم على الله غير الحق ، و ذلك بتحريمهم و تحليلهم هذه الأنعام وفق أهوائهم ، فيكون هذا إنكاراً لفعلتهم ، لا لتوجيههم للأكل منها ، أو أن الأنعام التي أنعم الله عليهم متعددة و مختلفة ، حيث قال : " وجعله مفعولاً لـ (كلوا) على أن قوله - تعالى - (وَلَا تَتَّبِعُوا) معترض بينهما ، أو حالاً من (ما) بمعنى مختلفة أو متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور أنه مسوقٌ لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولاً إلى حمولة وفرشٍ ، ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواجٍ حاصلة من تفصيل الأولى إلى الإبل والبقر وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ، ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى ، كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه - سبحانه وتعالى - بالتحليل والتحريم ثم تبكيثهم بإظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة" (2)

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 192

² - السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 192

أما الزمخشري فأعربها بدلا منصوبا من (حمولة وفرشاً) ، ولم يذكر الأوجه الأخرى التي ذكرها أبو السعود ، وضَعَفَهَا (1) أما البيضاوي فذكر فيها الأوجه الثلاثة : الأول : البدلية ، الثاني : مفعول به للفعل (كلوا) أو فعل دلّ عليه . الثالث : حال (2) و لم يرجح بينها .

فأبو السعود ذكر الأعراب التي ذكرها البيضاوي ، ثم رجح أن (ثمانية أزواج) بدل منصوب من (حمولة وفرشاً) ، ثم منع الوجهين الآخرين اللذين ذكرهما البيضاوي (مفعولاً به ، أو حالا) ؛ لأن النظم القرآني يأبهما ، لأن الآيات الكريمات جاءت تتحدث عن هذه الأنعام تمهيدا لبيان أفعال الكافرين الذين حرّموا وأحلوا بأهوائهم . وهذا المعنى لا يتحصل إذا أعربت مفعولاً به أو حالا ، فأبو السعود ذكر هذه الأوجه الإعرابية التي يحملها هذه الموضع ، و رجّح بينها معللاً ترجيحه بالسياق القرآني .

الآية الثانية : " {ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ } (المائدة : 108 - 110)

ذَهَبَ أَبُو السَّعُودِ إِلَى أَنَّ (إِذْ) فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - (إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بَدَلٌ مِنْ (يَوْمَ) فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) فَيَكُونُ خُطَابُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَمْوُذَجًا لِمَجْمَعِ اللَّهِ الرُّسُلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ سُؤَالِهِمْ مَاذَا أَجَابَتْكُمْ أَمْكُمْ ، فَلِذَلِكَ أَفَادَتْ الْبَدَلِيَّةُ أَنَّ خُطَابَ اللَّهِ لِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ امْتِنَانِهِ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَيْثُ يَقُولُ : " (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) شَرْعٌ فِي بَيَانِ مَا جَرَى بَيْنَهُ تَعَالَى - وَبَيْنَ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ الْمُجْمُوعِينَ مِنَ الْمَفَاوِضَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِثْرَ بَيَانِ مَا جَرَى بَيْنَهُ تَعَالَى - وَبَيْنَ الْكُلِّ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالْأَمْوُذَجِ لِتَفْصِيلِ أَحْوَالِ الْبَاقِينَ ، وَتَخْصِيصِ شَأْنِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالْبَيَانِ تَفْصِيلاً مِنْ بَيْنِ شُيُوءِ سَائِرِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مَعَ دَلَالَتِهَا عَلَى كَمَالِ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَنَهَايَةِ سُوءِ حَالِ الْمَكْذِبِينَ بِالرُّسُلِ لِمَا أَنَّهُ شَأْنُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُتَعَلِّقٌ بِكِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ نُعِيَتْ عَلَيْهِمْ فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ جَنَائِثُهُمْ ، فَتَفْصِيلُهُ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ وَأَجْلَبُ

¹ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل 2 \ 73

² - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 186

لحسرتهم وندامتهم وأفث في أعضادهم وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم ، و (إذ) بدل من يوم يجمع الله ، وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع" (1)

ولكن الإمام الطبري ذهب إلى أن (إذ) من صِلَة (أَجَبْتُمْ) كأن معناها: ماذا أجابت الأمم الرسل الذين أرسلوا إليهم في عهد عيسى - عليه السلام - ، وذهب الطبري أن جمع الرسل و سؤالهم كان في عهد عيسى - عليه السلام - ثم رد على الاعتراض الذي قد ينشأ من هذا القول ، حيث قال : " فإن قال قائل: وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها في عهد عيسى ، ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقل ذلك ؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى - ذكره - عنى بقوله: (فيقول ماذا أجبتكم) ، الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى ، فخرج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان في عهد عيسى - عليه السلام - ، كما قال - تعالى ذكره - : الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ (سورة آل عمران: 173) ، والمراد واحد من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس. " (2)

أما الزمخشري فأعربها بدلا من (يَوْمَ يَجْمَعُ) (3) و أما البيضاوي فذكر فيها وجهين : الأول : بدل من (يَوْمَ يَجْمَعُ) ، و الثاني : النصب بإضمار (اذكر) ، ولم يرجح بينهما (4).

فأبو السعود أعرب (يوم) في قوله - تعالى - (يوم يجمع الله الرسل) بدل اشتمال من (وَاتَّقُوا اللَّهَ) ثم أعرب (إذ) في قوله - تعالى - (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم) بدلا من (يوم يجمع الله) بعد ما بين دلالة الآية الكريمة مبينا علاقة ذكر عيسى - عليه السلام - بهذه السورة .

أما الزمخشري فذكر أوجه في إعراب (يوم) في قوله - تعالى - (يوم يجمع الله الرسل) الأول : بدل اشتمال من لفظ الجلالة (الله) في قوله - تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ). الثاني : ظرف لقوله: - تعالى - (لا يهدي) أي : لا يهديهم طريق الجنة يومئذ. الثالث : منصوب على إضمار اذكر. الرابع : يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت ، و لم يرجح بينهما ، ثم أعرب (إذ) في قوله - تعالى - (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم) بدلا من (يوم يجمع الله الرسل) ثم أورد ما يترتب عليها من معنى (5) و لهذا ما ذهب إليه أبو السعود أنها بدل من (يوم) في قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) أوفق مع النظم القرآني، حيث جاء السياق السابق (واتقوا الله واسمعوا) ثم قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) ثم ختمت الآيات بالحديث عن جزاء المؤمنين في اليوم

1 - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 | 94

2 - أبو جعفر الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 11 | 209

3 - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل 1 \ 690

4 - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 149

5 - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل 1 \ 690

الآخر، وهذا يدل أن هذا المشهد يكون يوم القيامة ، فيكون (إذ) في قوله - تعالى - (إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِيَ أَبْنِ مَرِيَمَ) بدلا من يوم في قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) ؛ لأن سؤال الله لعيسى يكون يوم القيامة لا في عهد عيسى كما ذهب الطبري. أمّا ما ذهب إليه الطبري فلا يتوافق مع النظم القرآني ، وذلك أنّ هناك فصلاً بين (إذ) و صلتها ، بقوله - تعالى - : (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ، وكذلك الطبري جعل (يَوْمَ) في قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) منصوبة بفعل تقديره احذروا ، دلّ عليه قوله - تعالى - (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا) ، قال الطبري: " يقول - تعالى ذكره - : واتقوا الله، أيها الناس. واسمعوا وعظله إياكم وتذكيره لكم، واحذروا يؤمّ يجمع الله الرسل ثم حذف (واحذروا) ، واكتفى بقوله : (واتقوا الله واسمعوا) (1)، لذلك الحذر والتقوى تكون استعداداً ليوم القيامة الذي يجمع فيه الرسل و الناس ، لا في عهد عيسى - عليه السّلام - لأنّ دلالة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا) في سياقها تدلّ على هذا.

الآية الثالثة : { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ } (البَيِّنَةُ : 1 - 2)

أعزّب أبو السعود (رَسُولٌ) بدلاً مرفوعاً من (البَيِّنَةُ) حيث إنّ البَيِّنَةُ هي الرّسول الذي ظهرت صفاته عند أهل الكتاب ، فلا شك في أنه بيّن و معروف لديهم ، لذلك جاء البديل (رَسُولٌ) الموصوف بأنه من الله حيث إنّ القارئ يتشوق لمعرفة البَيِّنَةُ ، فجاء البديل المقصود بالحكم ليبين البَيِّنَةُ ، فالبَيِّنَةُ تمهيدٌ لذكر البديل (رَسُولٌ) ، يقول أبو السعود: " (رَسُولٌ) بدل من البينة عبر عنه - عليه السّلام - بالبينة للإيدان بغاية ظهور أمره ، وكونه ذلك الموعود في الكتابين " (2).

أما الزمخشري ذكر إعرابها دون بيان فائدة البديل في هذه الموضع (3) وأما البيضاوي فذكر فيها وجهين : الأول : بدل من (البَيِّنَةُ) بنفسه أو بتقدير مضاف أي : بينة رسول الله . الثاني : مبتدأ ، خبره (يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) (4) و لم يرجح البيضاوي بين هذه الأوجه التي ذكرها.

أمّا العكبري فقد ذكر فيها قولين : أولهما البدلية ، و الثاني: الرفع على أنّها خبرٌ لمبتدأ محذوف (5) ، و هذا دأب العكبري لا ينظر إلى النظم القرآني و دلالاته ، إنّما يورد الأوجه التي تحتلها الصنعة النحويّة ، لذلك يرى الباحث أن إنّ إعراب (رَسُولٌ) خبرٌ ؛ يتولّد عنه جملة (هو رَسُولٌ) ، فتكون هذه الجملة استثنائية ناشئة من سؤال ما البَيِّنَةُ ؟ و هذا تقطيع للنظم القرآني، لذلك

¹ - أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن 11 | 209

² - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9 | 184

³ - انظر : الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل 4 \ 781

⁴ - انظر : البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل 5 \ 328

⁵ - انظر : العكبري ، التبيان في إعراب القرآن 2 | 1297

إعرابها بدلاً كما ذهب إليه أبو السعود و بين فائدة مجيء البدل أوفق للنظم القرآني ؛ لأن انتقال الذهن من المبدل منه إلى البدل المقصود بالحكم فيه تقرير و تنصيص على هذه البيئة.

الآية الرابعة: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۖ فِرْعَوْنٌ وَثَمُودٌ } (الغاشية : 17- 18)

أعرب أبو السعود (فِرْعَوْنٌ) بدلاً مجروراً من (الجنود)، حيث إنَّ المقصود بالجنود فِرْعَوْنٌ؛ لأنه الأمر لهم بالقتل و التكيل و التعذيب للمؤمنين ، لذلك كان البدل (فِرْعَوْنٌ) هو المقصود بالحكم ، للدلالة على كُفْرِهِ ، و تعذيبه للمؤمنين . يقول أبو السعود : " (فِرْعَوْنٌ) بدلٌ من (الجنود) ؛ لأنَّ المراد بفِرْعَوْنَ هُوَ وقومُهُ ، والمرادُ بحديثهم ما صدرَ عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حلَّ بهم من العذاب والنكال ، والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فُعلَ بهم فذكر قومك بشؤون الله - تعالى - وأندركم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم " (1) ، والذي ذكره أبو السعود ذكره الزمخشري و تبعه البيضاوي بأن (فِرْعَوْنَ) بدل مجرور من الجنود (2)

أمَّا أبو حيان فَذهبَ أنَّ (فِرْعَوْنَ) بدلٌ من (الجنود) بتقدير محذوفٍ ، أي : جُنُودُ فِرْعَوْنَ (3) ، وهذا القول الذي ذهبَ إليه أبو حيان بتقدير محذوفٍ ، لا يتوافق مع النظم القرآني ؛ لأنَّ المقصودَ تقريرُ أنَّ فِرْعَوْنَ الطاغيةَ هو الأمرُ للجنودِ بقتل و تعذيب المؤمنين ، وإنَّ قُدِّرَ محذوفٌ كما ذهب إليه أبو حيان لا يتحصل هذا المعنى ، فيكون جُنُودُ فِرْعَوْنَ هم الذين قاموا بالقتل و التعذيب ، ولا يُشعرُ بأنَّ فِرْعَوْنَ هو الأمرُ لهم ، ولا يكون بياناً لظلم فِرْعَوْنَ ، وأمره بالقتل و التعذيب.

و كلمة (فِرْعَوْنَ) ممنوعةٌ من الصَّرف ، فتُنصبُ ، وتُجرُّ بالفتحة ، مما جعلَ وجهَ النَّصبِ وارداً فيها ، لذلك ذهب السمين الحلبي في أحد قوليهِ أنَّ (فِرْعَوْنَ) منصوبٌ بتقدير الفعل (أعني) ؛ لأنه لم يطابق ما قبله فوجب قطعهُ عمَّا قبله ، ونصبه على أنه مفعول به بإضمار أعني (4) .

ويرى الباحث أنَّ هذا الوجه الذي ذكرهُ السمين الحلبي ، وهو النَّصبُ بتقدير الفعل أعني ، لا يتوافق مع النظم القرآني ، حيثُ تقديرُ عاملٍ محذوفٍ (أعني) مما يتولَّد عنه جملةٌ أخرى ، تقديرُها : أعني فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ، فَمَا علاقة هذه الجملة بما قبلها " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ " ؟ فإمَّا أن تكونَ جوابَ سؤالٍ . من هم الجنود ؟ و هذا تكلفٌ في التقدير في النظم القرآني ، إعرابُ البديلة كما ذهب إليه أبو السعود أوفق للنظم ؛ لأن المقصود بالحكم هو فِرْعَوْنُ الذي يملك القوة و القرار في أمرِ الجنودِ ، وهم تبعٌ له ، فلذلك إنَّ انتقالَ الذَّهن من المبدل منه الجنودِ إلى فِرْعَوْنَ المقصود بالحكم يشعر بظلمه و كفره و قتله للمؤمنين.

المطلب الثاني : بدلُ الاشتمال :

¹ - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9 | 139

² - الزمخشري ، الكشاف 4 \ 733 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 5 \ 302

³ - انظر : أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، 10 | 446

⁴ - انظر : السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، ، 10 | 749

الآية الأولى : (ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ 108 يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ 109) (المائدة : 108 – 109)

ذهب أبو السعود إلى أنّ (يوم) في قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) بدل اشتمال منصوب من لفظ الجلالة في قوله - تعالى - (و اتقوا الله) ؛ لأنّ الله مالك كلّ شيء بما فيها يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الناس للحساب ، فالمبدل منه لفظ الجلالة (الله) والبديل (يوم) ، فلهذا هو بدل اشتمال ، حيث قال: " {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ} نصب على أنّه بدل اشتمال من مفعول (اتقوا) لما بينهما من الملايسة ، فإن مدار البدلية ليس ملايسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط ، بل هو تعلق ما ، مُصَحَّحٌ لانتقال الذهن من المبدل منه إلى البَدَل بوجه إجمالي كما فيما نحن فيه ، فإن كونه -تعالى - خالق الأشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كافٍ في الباب مع أن الأمر بتقوى الله- تعالى - يتبادر منه إلى الذهن أنّ المتّقى أيُّ شأنٍ من شئونه وأيّ فعلٍ من أفعاله " (1) ثم ذكر أبو السعود أوجه إعرابية أخرى بصيغة التضعيف : الأول : منصوب بمضمر تقديره : احذروا ، أو اذكروا . الثاني : ظرف لقوله - تعالى - لا يهدي ، أي : لا يهديهم يومئذ . الثالث : منصوب بقوله - تعالى - (و اسمعوا) بحذف مضاف ، و التقدير : اسمعوا خبر ذلك . الرابع : منصوب بفعل مؤخّر محذوف و تقديره : يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فيقول . الخامس : النصب على الظرفية بتقدير مضاف في قوله - تعالى - (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أي : اتقوا عقاب الله يوم يجمع الله الرسل (2) أما الزمخشري فذكر هذه الأوجه ، ولم يرجح بينها الأول : بدل اشتمال من لفظ الجلالة المفعول به (الله) ، الثاني : ظرف لقوله - تعالى - : (لا يَهْدِي) أي : لا يهديهم طريق الجنة يومئذ . الثالث : النصب على إضمار (اذكر) الرابع : النصب بتقدير فعل مؤخر محذوف ، تقديره : يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت . (3) ، أما البيضاوي فأعربه ظرفاً لقوله : (لا يَهْدِي) أي : لا يهديهم طريق الجنة يومئذ ، ثم ذكر بقية الأوجه الأخرى بصيغة التضعيف فالوجه الأول : بدل اشتمال من المفعول به لفظ الجلالة (الله) في قوله - تعالى - (اتقوا الله) الثاني : مفعول به للفعل (اسمعوا) على حذف المضاف ، التقدير : واسمعوا خبر يوم جمعهم الثالث : منصوب باضمار اذكر . (4)

فأبو السعود اختار أن يكون (يوم) في قوله - تعالى - (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) بدلاً منصوباً من المفعول به لفظ الجلالة في قوله - تعالى - (و اتقوا الله) ، معللاً اختياره أن يكون بدل اشتمال بأن الله مالك كلّ شيء بما فيها يوم القيامة الذي يجمع الله

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 93

² - المرجع السابق 3 \ 93

³ - انظر : الزمخشري ، الكشاف 1 \ 690

⁴ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 148

فيه الناس للحساب ، فالمبدل منه لفظ الجلالة (الله) و البدل (يوم يجمع) ، ثم ذكر بقية الأوجه بصيغة التضعيف للدلالة أن وجه البدلية أرجح ، مخالفاً للزمخشري الذي لم يرجح بينها ، و للبيضاوي الذي اختار إعرابها ظرفاً لقوله - تعالى - : (لا يَهْدِي) ، و هذا يشير أن أبا السعود له رأي فيما ينقله عن غيره ، فهو لم يكتفِ بالنقل ، بل اختار ما يرجّحه معللاً ما ذهب إليه كما بينت.

الآية الثانية: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} (الغاشية: 27)

أعرب أبو السعود (كَيْفَ خُلِقَتْ) بدلَ اشتمالٍ مجروراً ، و المبدل منه (الْإِبِلِ) والتقدير : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَةَ خَلْقِهَا ، فيكونُ النَّظَرُ وَ التَّدَبُّرُ كَيْفِيَّةً خَلْقِهَا مِنْ صِفَاتِهَا الْخَلْقِيَّةِ أَوْ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، مثل الصَّبْرِ وَ التَّحَمُّلِ ، لذلك لم يكن المقصودُ مجردَ النَّظَرِ إِلَى الْإِبِلِ ، بل إلى كيفية خلقها ، لتكون لهم عبرة و هداية. حيث قال : " وكلمة (كيف) منصوبة بما بعدها كما في قوله - تعالى - (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) معلقةٌ لفعلِ النظرِ ، والجملةُ في حيزِ الجرِّ على أنَّها بدلُ اشتمالٍ من الإِبِلِ أي : أينكرون ما ذُكِرَ من البعثِ وأحكامِهِ ويستبعدون وقوعَهُ من قدرةِ الله - عزَّ وجلَّ - فلا ينظرونَ إلى الإِبِلِ التي هي نصب أعينهم يستعملونها كلَّ حينٍ إلى أنَّها كيف خُلِقَتْ خلقاً بديعاً معدولاً به عن سُنَنِ خَلْقَةِ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ فِي عَظَمِ جَسَدِهَا وَشِدَّةِ قُوَّتِهَا وَعَجِيبِ هَيَأْتِهَا... " (1) أما أبو حيان فأعرب حملة (كَيْفَ خُلِقَتْ) في محل جرّ بدل من الإِبِلِ (2) ، ولم يبين نوع هذا البدل ، فأبو السعود أعربها بدل اشتمال ، ثم بين المعنى المترتب على هذا الإعراب .

الآية الثالثة : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْفَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا 63) (الكهف : 63)

أعرب أبو السعود المصدر المؤول (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدل اشتمال من الضمير في قوله - تعالى - (وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) مبيّناً فائدة جحيء البدل حيث قال " (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدلُ اشتمال من الضمير أي : ما أنساني أن أذكره لك ، وفي تعليق الإنشاء بضمير الحوتِ أولاً وبذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنبئ عن تنحية المبدل منه إشارةً إلى أن متعلّق النسيان أيضاً ليس نفسَ الحوتِ بل ذكّر أمره " (3)

أما الزمخشريّ و البيضاويّ فذكرا أنه بدل من الضمير في قوله ((وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) و لم يبيّن نوع البدل و فائدة جحيء البدل (4) كما فعل أبو السعود حيث بيّن أن فائدة البدل في هذه الآية الكريمة وهو بدل اشتمال حيث إنّ المصدر المؤول (أَنْ أَذْكُرَهُ) أي : ذكّره بدل اشتمال من الضمير في قوله - تعالى - (وَمَا أَنْسَانِيهِ) يشعر أن متعلّق النسيان ليس الحوت ، إنما هو ذكّره ، و يكون التقدير للمعنى : وَمَا أَنْسَانِي ذِكْرَ الْحَوْتِ إِلَّا الشَّيْطَانُ

1- أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9 | 150

2- أبو حيان ، البحر المحیط في التفسير 10 \ 465

3- أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5 \ 233

4- الزمخشري ، الكشاف 2 \ 733 ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 3 \ 287

المطلب الثالث : بدل البعض :

الآية الأولى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ } (البقرة: 126)
ذهب أبو السعود إلى أنَّ الاسم الموصول (مَنْ) في قوله - تعالى - (مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) في محل نصب بدل
بعض من كلِّ (أَهْلُهُ) ، و فائدته تخصيص الذين آمنوا من أهل مكة بالدعاء ، و إظهار إيمانهم و فضلهم ، و فيه ترغيب و
دعوة إلى الإيمان بالله ، يقول أبو السعود : " (مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) بدل من أهله ، بدل البعض ، خصهم بالدعاء
إظهاراً لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماماً بشأن أهله ومراعاةً لحسن الأدب ، وفيه ترغيب لقومه في الإيمان ، وزجر عن الكفر " ⁽¹⁾

أمَّا الزمخشري فأعربها بدلا ، ولم يذكر نوع البدل ، و فائدة مجيئه " (وَمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ) بدل من أهله ، يعنى وارزق المؤمنين من أهله
خاصة " ⁽²⁾ ، وأمَّا البيضاوي فأعربها بدل بعض من كلِّ للتخصيص ⁽³⁾ (أمَّا أبو السعود فذكر نوع البدل ، وما أفادته البدلية في هذه
الآية الكريمة ، فهو بدل بعض ؛ لأن الله خصَّ الذين آمنوا من أهل مكة بالدعاء ، إظهاراً لشرف إيمانهم و فضلهم ، وفيه ترغيب و
دعوة إلى الإيمان بالله ، وزجر عن الكفر .

الآية الثانية : { إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦٢﴾ } (مریم : 60 - 61)
ذكر أبو السعود إغرابين (جَنَّاتٍ) أولهما : بدل بعض من كلِّ منصوب من (الْجَنَّةَ) ، حيث إنَّ الجَنَّةَ فيها جَنَّاتٌ للمؤمنين ،
لذلك جاء البدل مفصلاً ومُبيّناً ، و قوله - تعالى - (وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) اعتراض بين البدل والمبدل منه ، والتقدير : فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ، والثاني : نصب على المدح . حيث قال : " (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) بدل من (الجنة) بدل البعض لاشتمالها
عليها ، وما بينهما اعتراض ، أو نُصب على المدح " ⁽⁴⁾ . والذي سوغ إعرابها بدلاً أنَّ العَدْنَ بمعنى الإقامة ، وهو علمٌ عليه ، يقول :
" وعَدْنٌ علمٌ معنى العَدْنَ ، وهو الإقامة كما أن فَيَنَّةً وَسَحَرٌ وَأَمْسٍ فيمن لم يصرفها أعلاماً لمعاني ، الفينة وهي الساعة التي أنت فيها
، والسحر والأمس فجرى لذلك مجرى العَدْنَ ، أو هو علم الأرض الجنة خاصةً ، ولولا ذلك لما ساغ إبدال ما أضيف إليه من الجنة

¹ - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 | 159

² - الزمخشري ، الكشاف 1 | 186

³ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1 \ 105

⁴ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5 | 272

بلا وصفٍ عند غير البصريين ، ولا وَصْفُهُ بقوله تعالى (التي وَعَدَ الرحمن عِبَادَهُ) ⁽¹⁾ . والذي ذكره أبو السعود في وجه البدلية نقله عن الزمخشري فقد اعتبر جنات عدن معرفة لذلك جاز أبدالها من (الجنة) ووصفها بالاسم الموصول (التي) ⁽²⁾ ، ثم أبو السعود تبع البيضاوي في الوجه الثاني بإعرابها نصباً على العناية ⁽³⁾) و لم يرجح بينهما ، وكان الأولى بأبي السعود أن ينظر فيما نقل . وتعقب أبو حيان ما ذكره الزمخشري من أن (عَدْن) معرفة ؛ لأنها عَلِمَ لِمَعْنَى الْعَدْنِ أو علم على أرض الجنة ، بأنه يحتاج إلى سماع من كلام العرب ، و تعقبه كذلك فيما ذكره " ولولا ذلك لما ساغ الإبدال، لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة " بأن مذهب البصريين جواز إبدال النكرة من المعرفة ، وإن لم توصف النكرة . ⁽⁴⁾ و أجاز أبو حيان أن يكون الاسم الموصول (التي) في قوله - تعالى - (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعِيبِ) بدلا من جنات عدن ⁽⁵⁾ مخالفا ما ذكره أبو السعود من أنه لا يجوز أن يكون بدلاً " وجعله بدلاً منه خلافاً للظاهر فإن الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف ⁽⁶⁾ " ويرى الباحث أن إعرابها نصباً على المدح كما ذكر البيضاوي وتبعه أبو السعود في الوجه الثاني لا يُوافِقُ النظم القرآني ، وذلك لأن تقدير المعنى فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً أعني جَنَاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ ، فجملة (أعني جَنَاتِ عَدْنِ) تكون استئنافية لسؤال: ما الجنة ؟ ، وهذا تقطيع للنظم القرآني ، لأن السياق سياق إخبار من الله عن الجنة ، لذلك ذهب الزمخشري و العكبري و السمين الحلبي أنها بدلٌ ، ولم يذكروا وجه النصب على المدح ، الذي ذكره أبو السعود نقلاً عن البيضاوي . ويرى الباحث كذلك أن ما ذهب إليه الزمخشري وتبعه أبو السعود أن (جنات عدن) معرفة لتكون بدلا من (الجنة) غير لازم ؛ لأنه على مذهب البصريين لا يشترط أن يتطابق البدل والمبدل منه ، حتى أن الزمخشري أجاز في كتابه المفصل في صناعة الإعراب حيث قال " وليس بمشروط أن يتطابق البدل والمبدل منه تعريفاً وتنكيراً ، بل لك أن تبدل أي النوعين شئت من الآخر قال الله تعالى: " إلى صراط مستقيم صراط الله " وقال: " بالناصية ناصية كاذبة " ، خلا أنه لا يحسن إبدال النكرة من المعرفة إلا موصوفة كناصية. ⁽⁷⁾

الآية الثالثة : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف : 172)

¹ - المرجع السابق 5 | 272

² - الزمخشري ، الكشاف 3 \ 26

³ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 4 \ 14

⁴ - انظر : أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 7 \ 278 - 279

⁵ - المرجع السابق 7 \ 279

⁶ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5 | 272

⁷ - الزمخشري ، المفصل في صناعة الإعراب 158

أَعَزَبَ أبو السعود (مِنْ ظُهُورِهِمْ) بدلَ بعضٍ مِنْ كلٍّ ، بتكرير العامل ، وهو حرف الجر (في) لأنَّ الله أخذ العهد مِنْ بني آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ الآبَاءِ ، لا وَهُمْ فِي الْأَرْحَامِ ، و التقدير : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ ظُهُورِ ذُرِّيَةِ بَنِي آدَمَ الميثاقَ ، يقول أبو السعود : " (مِنْ ظُهُورِهِمْ) بدلٌ من بني آدمَ بدلَ البعضِ بتكرير الجار " (1) ثم بيَّن أبو السعود فائدة مجيء البدل " وفيه مزيدٌ تقريرٌ لابتناؤه على البيان بعد الإبهام ، والتفصيلُ غبَّ الإجمال ، وتنبه على أنَّ الميثاقَ قد أُخِذَ منهم ، وهم في أَصْلَابِ الآبَاءِ ولم يُستودَعوا في أرحامِ الأمهات " (2)

و لكنَّ العكبريَّ أعربها بدلَ اشتمالٍ من (بني آدم) بتكرير العامل (3) و لعله فسَّر (مِنْ ظُهُورِهِمْ) من نُطْفِهِمْ ، فهذا يتوافق مع اعتباره بدلَ اشتمالٍ ؛ لأنَّ النطفة ليست جزءاً منه ، بل مِنْ إفرازاته ، فهو مشتملٌ عليها. فأبو السعود أعربها بدلَ بعض من كلٍّ كما ذهب إليه البيضاويُّ و الزمخشريُّ ، لكنَّ أبا السعود لم يقف عند الإعراب ، بل بيَّن فائدة مجيء البدل في هذه الآية الكريمة

المبحث الثاني : أثر النظم القرآني في الترجيح بين البدل و الأوجه الإغرابية :

المطلب الأول : ترجيح إعراب البدل عند أبي السعود :

الآية الأولى { : يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٣٦﴾ } (المائدة : 106)

يرى أبو السعود أن (حِينَ) في قوله - تعالى - (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ) بدلاً من (إِذَا) في قوله - تعالى - (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ) ، حيث إنَّ الإبدال تنبيه على أهمية الوصية ، و الاعتناء بأمرها ، و لو كانت ظرفاً للموت أو للفعل (حَضَرَ) لا يحصل هذا التنبيه على أهمية الوصية ، حيث قال : " (حِينَ الوصية) بدلٌ منه ، لا ظرف للموت كما تُؤمَّم ، ولا لحضوره كما قيل ، فإن في الإبدال تنبيهاً على أن الوصية من المهمَّات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ، ويذهل عنها " (4) .

أما البيضاويُّ فذكر في إعراب (حين) وجهين : الأول : بدل من (إذا) الثاني : ظرف للفعل (حضر) و لم يرجح بينهما : " (حِينَ الْوَصِيَّةِ) بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه ، أو ظرف (حضر) " (5) أما الزمخشري

1 - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 | 289

2 - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 | 289

3 - العكبريُّ ، التبيان في إعراب القرآن ، 1 | 603

4 - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 | 88

5 - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 147

فذكر البدلية ، ولم يذكر الأقوال التي ذكرها أبو السعود⁽¹⁾ . فأبو السعود رجّح وجه البدلية ، وضعّف أن تكون ظرفاً للفعل (حضر) ، أو للموت . أما الألوسي فأعربها بدلاً ، ثم جوّز أن تكون (حين) ظرفاً للموت أي وقوع الموت ، أو الفعل حضر⁽²⁾ . و يرى الباحث أن (حين) بدل من (إذا) و التقدير : أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَتْ بَيْنَكُمْ حِينَ الْوَصِيَةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ ، فيكون الإبدال في تنبيهه على الوصية ، أما أن تكون ظرفاً للفعل (حضر) فجائز معنى و إعراباً ، لكنه لا يشعر بالمعنى الذي ذكره أبو السعود ، بأن لا يتهاون المسلم بالوصية حتى يأتيه الموت ، وبأهمية الوصية و التعجيل بها .

الآية الثانية : { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُّؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ } (الأعراف: 75)

ذكر أبو السعود في الاسم الموصول (مَنْ) في قوله - تعالى - (لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ) وجهين : الأول : بدل الكلّ من الموصول (الذين) في قوله - تعالى - (لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا) بإعادة العامل حرف الجرّ الام ، إن كان الضمير في (مِنْهُمْ) يعود على قَوْمِهِ ، فيكون المعنى : قَالَ : الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ قَوْمِهِ . الثاني : بدل بعض من كلّ ، إن كان الضمير يعود على الذين استضعفوا ، و التقدير : قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْمُسْتَضَعْفِينَ ، فيكون المستضعفون منهم من آمن ، و منهم من لم يؤمن .

ثم رجّح الوجه الأول ، بدل كلّ من كلّ ، ويكون الضمير (هم) في قوله - تعالى - (منهم) عائداً على قَوْمِهِ ؛ لأن الاستضعاف مختص بالمؤمنين ، و لا حاجة لتوجيه الخطاب أولاً للمستضعفين ، ثم إلى الذين آمنوا منهم . حيث قال : " (لمن آمن منهم) بدلّ من الموصول بإعادة العامل ، بدلّ الكلّ إن كان ضميرُ منهم لقومه ، وبدلّ البعض إن كان (للذين استضعفوا) على أن من المستضعفين مَنْ لم يؤمن ، والأوّل هو الوجه ، إذ لا داعي إلى توجيه الخطاب أولاً إلى جميع المستضعفين مع أنّ المجابفة مع المؤمنين منهم على أنّ الاستضعاف مختصّ بالمؤمنين ، أي : قالوا للمؤمنين الذين استضعفهم واسترذلوهم (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ) إنما قالوه على سبيل الاستهزاء بهم (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُّؤْمِنُونَ) عدّلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم ، أو نعلم أنه مرسل منه - تعالى - مسارعة إلى تحقيق الحقّ ، وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية ، وتنبيهاً على أنّ أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يُسأل عنه ، وإنما التحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به"⁽³⁾

¹ - الزمخشري ، الكشاف 1 \ 687

² - الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 4 \ 45

³ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 | 243

أما الزمخشري فأعربها بدلا ، ولم يبيّن نوعه ، ثم ذكر المعنيين المترتب على عودة الضمير في قوله (منهم) ولم يرجّح بينهما ⁽¹⁾ و أما البيضاوي فذكر الإعرابين ، ولم يرجّح بينهما كذلك ، ولم يبيّن المعنى المترتب على هذين الإعرابين ⁽²⁾ . أما أبو حيان فذكر الوجهين و المعنى الذي دلّ عليه كلّ إعراب ، ولم يرجّح بينهما ⁽³⁾)

فأبو السعود ذكر الإعرابين و المعنى المترتب على كل إعراب منهما ، ثم رجّح الوجه الأول ، بدل كلّ من كلّ ، ويكون الضمير (هم) في قوله - تعالى - (منهم) عائداً على قومِهِ ؛ معلّلاً ترجيحه لهذا الوجه معتمداً على السياق القرآني في ترجيحه .

الآية الثالثة : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا 7 (النساء : 7)

أعرب أبو السعود (ما) في قوله - تعالى - (مِمَّا قَلَّ مِنْهُ) بدلا من (ما) في قوله - تعالى - (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ) ، ثم ذكر فائدة مجيء البدل لدفع التوهم اختصاص بعض ما ترك الورثة للرجال دون النساء ، حيث قال " (مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ) بدل من (ما) الأخيرة بإعادة الجارّ ، وإليها يعود الضميرُ المحرورُ ، وهذا البدل مرادّ في الجملة الأولى أيضاً محذوفٌ للتعويل على المذكور، وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال ، وتحقيقُ أن لكلّ من الفريقين حقاً من كلّ ما جلّ ودقّ " ⁽⁴⁾)

وأبو السعود ذكر فيها وجه البدلية ، وهذا إشارة على ترجيحه على غيره من الأوجه الإعرابية التي ذكرها بعض المفسرين كأبي حيان الذي ذكر قولين في إعرابها الأول: " (مِمَّا قَلَّ مِنْهُ) : بدل من (ما) . الثاني : حال من الضمير المحذوف في (تَرَكَ) ⁽⁵⁾ و قد نقله عن العكبري ، ولم يرجّح أبو حيان بينهما ، و كذلك العكبري ذكر القولين البدل من (ما) ، وحالا من الضمير المحذوف في (تَرَكَ) ⁽⁶⁾) ولم يرجّح بينهما .

أما الزمخشريّ و البيضاويّ ⁽⁷⁾ فذكرا أنّها بدل ، ولم يذكرّا فائدة مجيء البدل ، والمعنى المترتب على هذا الإعراب كما فعل أبو السعود عند ذكره فائدة مجيء البدل في هذه الآية كما وضحت .

¹ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 2 \ 123

² - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 3 \ 21

³ - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 5 \ 94

⁴ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 147

⁵ - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 3 \ 525

⁶ - العكبري ، التبيان في إعراب القرآن 1 \ 332

⁷ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 1 \ 476 ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 76

الآية الرابعة: {قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾} (الشعراء: 47-48) أعزب أبو السعود (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) بدلاً مجروراً من (رَبِّ الْعَالَمِينَ) لدفع التوهم أن يكون المقصود (رَبِّ الْعَالَمِينَ) فرعون ، وذلك لأن فرعون ادعى أنه هو ربهم "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (24) النازعات ، لذلك جاء " رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ " بدلاً لإزالة التوهم ، حيث إن البديل هو المقصود بالتحكم للتوضيح ، والتأكيد أن المقصود هو الله رب موسى وهارون ، وكذلك يشعر أنهم آمنوا برَبِّ مُوسَى الذي أجرى الله على يديه المعجزات مثل العصا ، فهو الذي يستحق العبادة . حيث قال : " (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم إرادة فرعون ، حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والإشعار بأن الموجب لإيمانهم به - تعالى - ما أجرأه على أيديهما من المعجزة القاهرة " (1)

أما الزمخشري فذهب أن (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) عطف بيان، لأن فرعون كان يدعي الألوهية ، فأراد السحرة الذين آمنوا برَبِّ مُوسَى وهارون أن يثبتوا أنه ليس رباً ، إنما رب العالمين هو رب موسى و هارون. يقول: " رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ عطف بيان لرب العالمين ، لأن فرعون - لعنة الله عليه - كان يدعي الربوبية ، فأرادوا أن يعزلوه. ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام: أنه الذي يدعو إليه هذان ، والذي أجرى على أيديهما ما أجرى " (2) أما البيضاوي فأعربها بدلاً من (رب العالمين) للتوضيح و دفع التوهم أن المراد فرعون (3)

أما أبو حيان فذكر إعرابها في آيات سورة الأعراف فأعربها بدلاً ، حيث قال: " قَالُوا رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَالُوا لِقَوْلِ مُوسَى إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَمَّا كَانَ قَدْ يُوهِمُ هَذَا اللَّفْظُ غَيْرَ اللَّهِ - تَعَالَى - كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ : أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى نَصُّوا بِالْبَدَلِ عَلَى أَنَّ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) وَأَنَّهُمْ فَارَقُوا فِرْعَوْنَ وَكَفَرُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ " (4)

ويرى الباحث أن ما ذهب الزمخشري بأن (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) عطف بيان مجرور من (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أولى ؛ لأن لفظ (رَبِّ) لفظ مشترك يطلق على الله و على غيره كقوله - تعالى - على لسان يوسف - عليه السلام - (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) (يوسف : 41) ، فلذلك لفظ (رب العالمين) قد يوهم أن المقصود غير الله كقول فرعون لقومه (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) فإعراب (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) عطف بيان يُزيل التوهم الذي قد ينشأ عند هؤلاء القوم من أن المقصود برَبِّ الْعَالَمِينَ فرعون ، و بياناً أنهم آمنوا به ؛ لأنه رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ الذي أجرى على أيديهم المعجزات الدالات على قدرته، و أنه المستحق للعبادة لذلك. لذلك نرى أبا السعود و البيضاوي أعربوا (ملك الناس ، إله الناس) في سورة الناس عطف بيان ل (رَبِّ الناس) ؛ لأن لفظ (رب)

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5 | 95

² - الزمخشري ، الكشاف 3 | 313

³ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 4 \ 138

⁴ - أبو حيان ن البحر المحيط في التفسير 5 \ 140

مشترك في دلالة يطلق على الله و على غيره . لكنهم خالفوا في هذه الآية، و أعربوها بدلاً . أما أبو حيان فجعل (ملك الناس) و (إله الناس) صفتين .

الآية الخامسة : { فَرِحِينَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (آل عمران: 17)

أعرب أبو السعود (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (أَنْ) وما في حيزها في محل جرّ بدلٍ اشتمال من الاسم الموصول في قوله تعالى - (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا) ، و فائدته أنه مبينٌ أنّ الاستبشار بحال إخوانهم ، لا بدواتهم ؛ لأنّ الذي يُستبشر به الصفات ، لا الذوات . حيث قال : " (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) بدلٌ من الذين بدل اشتمالٍ مبينٌ لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بدواتهم و (إن) هي المخففة من (أن) واسمها ضميرُ الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أي : ويستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم ، وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوفٌ وقوعٌ محذورٌ ، ولا حزنٌ فواتٌ مطلوبٌ أو لا خوفٌ عَلَيْهِمْ في الدنيا من القتل فإنه عينُ الحياة التي يجب أن يرغب فيها " (1)

أما العكبري فذكر في إعرابها وجهين : أولهما : بدل اشتمال من الاسم الموصول في قوله تعالى - (بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) ، و الثاني : مفعول من أجله ، و التقدير : لِأَنَّهُمْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ (2)

أما الزمخشري والبيضاوي فذكرا أنها بدل دون بيان نوع البدل ، أما أبو حيان فذكر الوجهين (3) اللذين ذكرهما العكبري و لم يرجحاً بين هذين الوجهين ، فأبو السعود ذكر فيها إعراباً واحداً ، هو أنها في محل جر بدل اشتمال من الاسم الموصول في قوله تعالى - (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا) وهذا ترجيح غير صريح عند أبي السعود عندما يحتل الموضع أكثر من إعراب ، و علّل أبو السعود أن بدل الاشتمال جيء به من أجل بيان أن الاستبشار بحالهم و ما ينالونه من رحمة الله ، لا بدواتهم .

المطلب الثاني : تضعيف البدل ، و ترجيح غيره من الأوجه الإعرابية :

الآية الأولى : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم : 37)

رجّح أبو السعود أنّ (عِنْدَ بَيْتِكَ) ظرفٌ للفعل (أَسْكَنْتُ) أي : رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ، لا صفة لبوادي ، أو بدل منه ، يقول أبو السعود : " (عِنْدَ بَيْتِكَ) ظرفٌ لأَسْكَنْتُ كقولك صليتُ بمكة عند الركن ، لا أنه

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 | 112

² - العكبري ، التبيان في إعراب القرآن 1 \ 310

³ - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 1 \ 309

صفة لواء ، أو بدل منه ، إذ المقصود إظهار كون ذلك الإسكان مع فقدان مبادئه لمحض التقرب إلى الله - تعالى - ، والاتجاه إلى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله - تعالى - (المحرم) " (1)

أما العكبري فذكر فيه الوجهين الذين منعهما أبو السعود الأول : صفة لواء . الثاني : بدل من وادٍ (2). أما السمين الحلبي فأعربها صفة لواء ، ثم ذكر قول العكبري أنها بدل منه ، و منعه ؛ لأن (عند) لا تتصرف (3) أما الألوسي فاختار إعراب أبي السعود ظرفاً للفعل (أسكنت) ، و ذكر تعليل أبي السعود لهذا الإعراب (4)

أبو السعود رجح إعراب (حين) ظرفاً للفعل (أسكنت) ، وضعف أن تكون بدلاً أو صفة معللاً ما ذهب إليه من ترجيح ؛ لأن المقصود الإسكان عند بيت الله المحرم مع عدم وجود الماء و الزرع ليكون تشريفاً له ، وبياناً أن هذا الإسكان للتقرب لله ، والاتجاه به ، أمّا إعرابها صفة ، فإن المعنى يصبح ربنا إني أسكنت من دُرِّيَّتي بوادٍ غير ذي زرع كائن عند بيتك المحرم ، فلا يشعر بما تشعر به الظرفية أن الإسكان عند البيت . أما إعرابها بدلاً فلا يجوز من حيث الصناعة النحوية ، لأن (عند) ظرف لا يتصرف .

الآية الثانية : { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ (الطلاق:10)

يضعف أبو السعود إبدال (الَّذِينَ آمَنُوا) من (أُولِيَ الْأَلْبَابِ) لتعذر حلول محله ، لأن الاسم المعرف لا يُنادى بـ (يا النداء) ، فلا نقول يا الَّذِينَ آمَنُوا ، لا يجوز لغة ، بل نقول: يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا ، حيث قال : " (الذين آمنوا) منصوب بإضمار أعني بياناً للمنادى ، أو عطف بيان له أو نعت ، وفي إبداله منه ضعف لتعذر حلوله محله " (5) .

وهذا الذي ذكره أبو السعود نقله عن السمين الحلبي (6) ولم يرجح أبو السعود بين بقية الأعراب . ويرى الباحث أن منع وجه البدلية في الاسم الموصول (الذين) ؛ لأن البدل لا يمكن أن يحل مكان المبدل منه (أُولِيَ الْأَلْبَابِ) ، فلا يقال : يا الذين ، فإن الاسم المحلى بال التعريف لا ينادى مباشرة بأداة النداء (يا) .

الآية الثالثة : { قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ (الجن 25 - 26) } ضعف أبو السعود وجه البدل و البيان (1) في (عالم الغيب) ؛ لأن النظم القرآني يأباه

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 5 | 52

² - العكبري ، التبيان في إعراب القرآن 2 \ 771

³ - السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 7 \ 112

⁴ - الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 7 \ 224

⁵ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 8 | 246

⁶ - السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10 \ 358

لوجود الفاء في قوله - تعالى - (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ؛ لأنَّ المعنى يصبحُ على إعرابها بدلا (أَقْرِبَ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ أَمَدًا فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ، فيدخل في حيز الاستفهام ، وهذا غير مراد الله ؛ لأنَّ الفاء لترتيب ما قبلها (عَالَمُ الْغَيْبِ) ، على ما بعدها (لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ، و رَجَّح أبو السعود أن يكون (عَالَمُ) خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره هو عَالَمُ الْغَيْبِ ، و تكون جملة استثنائية . يقول: " عالم الغيب بالرفع ، قيل هو بدلٌ من رَبِّي أو بيانٌ له ، وبأباه الفاء في قوله - تعالى - : (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) إذ يكونُ النظم حينئذٍ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ أَمَدًا فَلَا يُظْهِرُ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وفيه من الاختلال ما لا يخفى ، فهو خبرٌ مبتدأ محذوفٍ أي : هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ ، والجملة استئنافٌ مقررٌ لما قبله من عدم الدراية ، والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرد - تعالى - بعلم الغيب على الإطلاق ، أي : فلا يُطْلَعُ على غيبه اطلاعاً كاملاً ينكشف به جليلة الحال انكشافاً تاماً موجباً لِعَيْنِ اليقين أحداً من خَلْقِهِ " (2) أما أبو حيان فذكر فيها وجهين : الأول : خبر لمبتدأ محذوف هو عالم الغيب ، الثاني : بدل من (ري) ولم يَرَّجَّح بينهما (3)

أما الألوسي فتبع أبا السعود في أن الجملة مستأنفة ، وأن الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لتفرد الله - سبحانه بعلم الغيب ، فلا يظهر عليه أحداً ، يقول: "والجملة استئناف لدفع توهم نقص من نفى الدراية ، والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرد - تعالى - بعلم الغيب ، والمراد بالإظهار المنفي الاطلاع الكامل الذي تنكشف به جليلة الحال على أتم وجه كما يرشد إليه حرف الاستعلاء ، فكأنه قيل : ما عليّ إذا قلت ما أدري قُرب ذلك الموعد الغيب ولا بُعده فالله - سبحانه وتعالى - عالم كل غيب وحده فلا يطلع على ذلك المختص علمه به - تعالى - اطلاعاً كاملاً أحداً من خلقه ليكون أليق بالتفرد وأبعد عن توهم مساواة علم خلقه لعلمه سبحانه " (4)

فأبو السعود في هذه الآية ضَعَّف أن يكون (عَالَمُ الْغَيْبِ) بدلا من (رَبِّي) معللا ما ذهب إليه من رأي ، مرجحا أن يكون (عَالَمُ الْغَيْبِ) خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره هو ، و تكون هذه جملة استثنائية ، أما الزمخشري و البيضاوي اللذان يعدّان مصدرين لتفسير أبي السعود لم يتطرقا لإعرابها ، لكن الزمخشري قدّر المعنى : هو عالم الغيب ، على أنها خبر لمبتدأ محذوف دون ذكر إعرابها (5) .

الآية الرابعة : { فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ } (الأحقاف: 28)

¹ - ذكر هذا الإعراب السمين الحلبي فقال : (إمّا بدلاً من ربي ، وإمّا بياناً له) و اعتقد أنه يقصد بقوله (بياناً له) عطف البيان ، انظر السمين الحلبي ،

الدر المصون في علوم الكتاب المكون 10 \ 505

² - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 9 | 48

³ - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 10 \ 305

⁴ - الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 15 \ 107

⁵ - الزمخشري ، الكشاف 4 \ 632 ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 5 \ 254

أَعْرَبَ أبو السعود (آلهة) مفعولاً به ثانياً للفعل (اتَّخَذُوا) ، والمفعول الأول ضمير متصل محذوف ، عائدة على الاسم الموصول (الذين) تقديره: الذين اتَّخَذُوهم آلهةً ، و (قُرْبَانًا) حالاً ، و التقدير : فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الذين اتَّخَذُوهم مِنْ دُونِ الله آلهة متقربين بهم إلى الله - تعالى - حيث قال : " القُرْبَانُ ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله - تعالى - وأحْدُ مفعولي اتَّخَذُوا ضميرُ الموصول المحذوف ، والثاني آلهةً ، و (قُرْبَانًا) حالٌ ، و التقديرُ : فهَلَّا نَصَرَهُمْ وَخَلَّصَهُمْ من العذابِ الذين اتَّخَذُوهم آلهةً حال كونها متقرباً بها إلى الله - تعالى - حيث كانوا يقولونَ : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زلفى) (الزمر : 3) ، (هَؤُلاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله) (يونس : 18) ، وفيه تحكُّمُ بهم " (1) . ثُمَّ مَنَعَ إِعْرَابَ (قُرْبَانًا) مفعولاً ثانياً ، و (آلهة) بدلاً لفسادِ المعنى ، فيُصْبِحُ المعنى على هذا اتَّخَذُوهم من دُونِ الله قُرْبَانًا ، أي : متقرب بها من دُونِ الله ، لا متقرب إليه ، وهذا يؤدي لفسادِ المعنى ، لأنَّ المقصودَ في الآية الكريمة فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الذين اتَّخَذُوهم مِنْ دُونِ الله آلهة متقربين بهم إلى الله - تعالى - " ولا مساعَ لَجعلِ (قرباناً) مفعولاً ثانياً، و (آلهة) بدلاً منه لفسادِ المعنى ، فإنَّ البدلَ وإنَّ كَانَ هو المقصود ، فلا بُدَّ في غيرِ بدلِ الغلطِ من صحةِ المعنى بدونِه ، ولا ريبَ في أنَّ قولنا : اتَّخَذُوهم من دُونِ الله قُرْبَانًا ، أي : متقرباً به ما لا صحةَ لَهُ قطعاً ؛ لأنَّه - تعالى - متقَرَّبٌ إِلَيْهِ ، لا متقَرَّبٌ بِهِ ، فلا يصحُّ أَنَّهُم اتَّخَذُوهم قُرْبَانًا متجاوزينَ الله في ذلك " (2)

أما الزمخشري فذكر فيها وجهين الأول : (آلهة) المفعول الثاني ، و المفعول الأول الضمير المستتر العائد على الاسم الموصول أي اتَّخَذُوهم و (قُرْبَانًا) حال الثاني : (قُرْبَانًا) مفعولاً ثانياً و (آلهة) بدل مِنْهُ ، ومنع الوجه الثاني أن يكون (قُرْبَانًا) مفعولاً ثانياً و (آلهة) بدلاً مِنْهُ لفسادِ المعنى (3) ، ولم يبيِّن هذا الفساد . وعِلَّةُ منعِ (قُرْبَانًا) مفعولاً ثانياً و (آلهة) بدلاً مِنْهُ ذكرها السمين الحلبي عند ذكره منعِ الزمخشري هذا الإعراب " ووجهُ الفسادِ - والله أعلم - أنَّ القُرْبَانَ اسمٌ لِمَا يُتَقَرَّبُ به إلى الإله ، فلو جَعَلْنَاهُ مفعولاً ثانياً ، وآلهةً بدلاً مِنْهُ لَزِمَ أَنَّ يكونَ الشيءُ المتقَرَّبُ به آلهةً ، والفرَضُ أَنه غيرُ الآلهة ، بل هو شيءٌ يُتَقَرَّبُ به إليها ، فهو غيرُها ، فكيف تكون الآلهة بدلاً مِنْهُ؟ هذا ما لا يجوزُ (4)

أما البيضاوي فذكر ثلاثة أوجه الأول : (آلهة) المفعول الثاني ، و المفعول الأول الضمير المستتر العائد على الاسم الموصول أي اتَّخَذُوهم و (قُرْبَانًا) حال الثاني : (قُرْبَانًا) مفعول ثَانٍ و (آلهة) بدل مِنْهُ أو عطف بيان . الثالث (قُرْبَانًا) مفعول له (5) . فالبيضاوي لم يرجِّح بين ما ذكره من هذه الأعراب .

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 8 | 87

² - المرجع السابق 8 | 87

³ - الزمخشري ، الكشاف 4 \ 310

⁴ - السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 9 \ 677

⁵ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 5 \ 116

أما أبو حيان فذكر فيها ثلاثة أوجه الأول : (آلة) المفعول الثاني ، و المفعول الأول الضمير المستتر العائد على الاسم الموصول أي اتخذوهم و (قُرْبَانًا) حال الثاني : (قُرْبَانًا) مفعول له الثالث : (قُرْبَانًا) مَفْعُول ثَانٍ و (آلة) بدل مِنْهُ . فأبو حيان ذكر هذا القول ، و علق على منع الزمخشري أن يكون (قُرْبَانًا) مَفْعُولًا ثَانِيًا و (آلة) بدل مِنْهُ لفساد المعنى ، وخالف الزمخشري ، و قال : " وَيُظْهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى صَحِيحٌ عَلَى ذَلِكَ الْإِعْرَابِ " (1) فأبو حيان يرى أن هذا الإعراب صحيح ، ولا فساد للمعنى مترتب عليه . ويرى الباحث أن إعراب (قُرْبَانًا) مفعولا به ، و (آلة) بدلا منه يؤدي إلى فساد المعنى كما ذكر أبو السعود معللا منعه هذا الإعراب ؛ لأن المعنى يكون : هلا نصرهم الذين اتخذوهم من دون الله قريانا ، أي: هم جعلوهم قريانا من دون الله ، متجاوزين الله.

الآية الخامسة : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ 12) (الأنفال : 2)

أعرب أبو السعود (إِذْ) في قوله - تعالى - (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) منصوبا بمضمر ، و التقدير اذكر يا محمد . ؛ لأن الخطاب جُرد للنبي - صلى الله عليه وسلم - (رُبُّكَ) ؛ لأن الوحي من الأمور التي يختص بها النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سائر المسلمين ، فإن إحياء الله للملائكة قبل نزول هذه الآيات الكريمات التي تتحدث عما حدث على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس كسائر النعم السابقة التي عرفوا وقتها و شكروا الله عليها . حيث قال : " (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) منصوبٌ بمضمر مستأنفٍ خوطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - بطريق التحريد حسبما تنطبق به الكاف لما أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره - صلى الله عليه وسلم - فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه - صلى الله عليه وسلم - ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكر وقتها بطريق الشكر " (2)

فأبو السعود يرى أن الخطاب في هذه الآية الكريمة (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) للنبي - صلى الله عليه وسلم - فجُردت الكاف لتكون خطابا له ، أما في الآيات السابقة لها ، فكان الخطاب للمسلمين (وَإِذْ يَعِدُكُمُ) (إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) .

أما الزمخشري وتبعه البيضاوي فذكرا في إعرابها وجهين أولهما : بدل ثالث من (إِذْ يَعِدُكُمُ) ، و الثاني : منصوب بالفعل (يُثَبِّتُ) في قوله - تعالى - (وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ) (3)

أما أبو السعود فخالفهما ، و ضعّف هذين الوجهين معللا ما ذهب إليه " وقيل: منصوب بقوله -تعالى- (وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ) فلا بد حينئذٍ من عود الضمير المحرور في (به) إلى الربط على القلوب ليكون المعنى وثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إحيائه إلى الملائكة ، وأمره بتثبيتهم إياكم ، وهو وقت القتال ، ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة

¹ - أبو حيان ن البحر المحيط في التفسير 9 \ 448

² - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 4 \ 10

³ - الزمخشري ، الكشاف 2 \ 204 ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 3 \ 52

"⁽¹⁾ ثم منع أن يكون بدلا ثالثاً ؛ لأن الخطاب في (إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) للنبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن الوحي خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم - و أما الخطاب في قوله - تعالى - (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) فللمؤمنين ، فهذا لا يجوز البديل ، يقول أبو السعود : " أما انتصابه على أنه بدلٌ ثالثٌ من (إِذْ يَعِدُكُم) كما قيل فيأباه تخصيصُ الخطاب به - صلى الله عليه وسلم - مع ما عرفت من أنَّ المأمورَ به ليس من الوظائف العامة لكل كسائر أخواته ، فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه - - ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكر وقتها بطريق الشكر "⁽²⁾

أما الآلوسي فنقل قول أبي السعود بأن (إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) متعلق بمضمر خوطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ذكر الوجهين اللذين ضعفهما أبو السعود ذاكراً علته في تضعيف هذين القولين : وجه البدلية ، التعلق بالثبوت ، لكنه جعل قول أبي السعود أولى مما ذكره الزمخشري ، لا أنه يتعين قوله في إعراب هذه الآية الكريمة " ولا يخفى على المتأمل أن ما ذكر لا يقتضي تعين الأول ، نعم يقتضي أولويته. "⁽³⁾

فأبو السعود كان له رأي في إعراب (إِذْ) في هذه الآية الكريمة ، مخالفا للزمخشري و البيضاوي فيما ذهبوا إليه من إعراب ، معللاً إعرابه ، و مبيناً علة تضعيفه لما ذهب إليه الزمخشري و البيضاوي من إعراب ، وهذا يدل على أن أبا السعود له رأي فيما ينقله عمن تأثر بهم ، فهو يأخذ و ينقل عنهم ، و لكن إذا بدا له أن هذا الإعراب لا يوافق النظم القرآني و سياقه بيدي رأيه ، يبينه .

الآية السادسة : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ المائدة : ٥٠) رجح أبو السعود إعراب الاسم الموصول (مَنْ) خبر مبتدأ ، بتقدير مضاف إليه ، و التقدير هو دئ من لعنه الله ، معتمداً على السياق القرآني في ترجيحه ، ثم ضعف إعراب الاسم الموصول (مَنْ) بدلا من (شَرٌّ) معتمداً على النظم القرآني حيث قال : " (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة (ذلك) أي : دئ من لعنه ، أو بتقدير مضاف قبلها مناسب ل (من) أي : بشر من أهل ذلك ، والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية ، إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم ، وإما باعتبار التقدير فيها فكأنه قيل : ما الذي هو شر من ذلك . فقيل : هو دئ من لعنه الله ، أو قيل : في السؤال من ذا الذي هو شر من أهل ذلك ، فقيل : هو مَنْ لعنه الله "⁽⁴⁾ ثم منع أن تكون (مَنْ) بدلا من (شَرٌّ) يقول : " وقد قيل : إنَّ (مَنْ) مجرور على أنه بدلٌ من (شَرٌّ) على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف ، وأنت خيرٌ

¹ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 4 \ 10

² - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 4 \ 10

³ - الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 5 \ 165

⁴ - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 55 - 56

بأنّ ذلك مع اقتضائه إخلاء النظم الكريم عن المزاي المذكورة بالمرّة مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورةً أن المقصود الأصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية ، بل هو كما مرّ مقدّمة سيقّت أمام المقصود لهُزء المخاطبين ، وتوجيه أذهانهم نحو تلقي ما يلقي إليهم عقبيها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عنها ، وهو المقصود إفادته ، وعليه يدور ذلك الإلزام والتبكيث حسبما شُرح ، فإذا جعل الموصول بما في حيز صلاته من تنمة الجملة الاستفهامية ⁽¹⁾ (فأين الذي يلقي إليهم عقبيها جواباً عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الإلزام والتبكيث ⁽²⁾)

وأما الطبريّ جوّز فيها ثلاثة أوجه : الأول : في موضع جرّ على البدلية من (بشر) "و قدّره : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، بمن لعنه الله ، الثاني : في موضع الرفع على الاستئناف و التقدير : هو من لعنه الله ، الثالث : في موضع نصب بالفعل (أنبئكم) بمعنى: قل هل أنبئكم من لعنه الله ⁽³⁾)

أما الزمخشريّ وتبعه البيضاويّ فذكرا وجهين دون ترجيح بينهما : الأول : في موضع جرّ على البدلية من (بشر) . الثاني : في موضع الرفع على الاستئناف و التقدير : هو من لعنه الله ⁽⁴⁾)

أما أبو حيان فذكر هذين الوجهين الذي ذكرهما الزمخشريّ ، و لكنّه جعل وجه البدلية من وجهين الأول : في موضع جرّ بدل من (بشر) الثاني : في موضع نصب بدل من موضع (بشر) ⁽⁵⁾)

خلاصة إعراب (مَنْ) في قوله - تعالى - (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ) :

الأول : في موضع جرّ على البدلية من (بشر) .

الثاني : في موضع نصب على البدلية من موضع (بشر))

الثالث : في موضع الرفع على الاستئناف . التقدير : هو من لعنه الله . يكون (مَنْ) في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف .

الرابع : في موضع نصب بالفعل (أنبئكم) بمعنى: قل هل أنبئكم من لعنه الله.

فأبو السعود رجّح الاستئناف ، و أن تكون (مَنْ) في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف معللاً ما ذهب إليه من ترجيح . أما الطبريّ و الزمخشريّ و البيضاويّ و أبو حيان فذكروا أوجهاً في إعرابها و لم يرجّحوا بين ما ذكروه ، بل جوّزوا الأوجه التي ذكروا في إعراب هذا

¹ - أي : بإعراب الاسم الموصول (من) بدلا من (شر) فيكون التقدير : قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِمَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ؛ لأن (من) و ما في حيزها تحل محل المبدل منه (شر) في تقدير المعنى . فتكون الجملة الخبرية (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) تنمة للجملة الاستفهامية ، وهي التي بالأصل جواب للجملة الاستفهامية . فأين جواب الاستفهام ؟ لحصل التبكيث لهم.

² - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 55 - 56

³ - انظر : الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 10 \ 437

⁴ - الزمخشري ، الكشاف 1 \ 651 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 \ 134

⁵ - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 4 \ 306

الموضع ، لكنّ أبا السعود نظر لدلالة السياق القرآنيّ فجعل إعرابها بدلا ، والتقدير : قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِمَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ فَتَحَلَّ (من) و ما في حيزها محل المبدل منه (بشر) في تقدير المعنى . فتكون (مَنْ) وما في حيزها (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) تنتمي للجملة الاستفهامية ، وهي التي بالأصل جواب للجملة الاستفهامية . فأين جواب الاستفهام ؟ الذي حصل به التبيكيت لهم

نتائج الدراسة :

لقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج : أولاً : للنظم القرآنيّ أثر واضح في توجيه إعراب التوابع النحوية، أو الترجيح بينها أو بينها و بين الأوجه الإعرابية التي تتداخل معها في الإعراب ، حيث يبرز أثر النظم القرآني و سياقه في توجيه إعراب التوابع النحوية و المعاني المترتبة على هذا الإعراب ، أو الترجيح بين الأوجه الإعرابية المتعددة التي لا يمكن للنص القرآني أن يقبلها كلها ؛ لأن كل إعراب قد يتولد عنه معنى مغاير للأعراب الأخرى.

ثانيا : يوجه أبو السعود ما ذهب إليه من إعراب للتابع النحويّ (البدل) بأنواعه المطابق ، و بعض من كل و الاشتمال مُبيناً دلالاته ، و فائدة مجيء البدل في الآية الكريمة .

ثالثاً : يرجح بين الأوجه الإعرابية التي تتداخل مع البدل . ويستقل برأيه مخالفاً الزمخشري و البيضاوي فيما ذهبا إليه من إعراب في أكثر من موضع ، و أحيانا يعتمد على ما ذكر البيضاويّ أو الزمخشريّ في تفسيريهما من توجيه البدل أو الترجيح بين الأوجه الإعرابية .

المصادر و المراجع :

- أحمد بن محمد الأدنه ، طبقات المفسرين ، المحقق: سليمان بن صالح الخزري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1997م.
- إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول 1951م
- أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
- ابن جنيّ ، اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) ، المحقق: فائز فارس ، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت .
- ابن الحاجب ، الكافية في علم النحو ، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان المصري المالكي (توفي: 646 هـ ، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 2010 م
- أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: 1420 هـ.
- ابن السراج ، الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف (المتوفى: 316هـ) ، المحقق: عبد الحسين الفتلي ، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
- أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) ، المحقق: ياسين الأيوبي ، الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية ، الطبعة: الأولى.
- الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) ، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف بمصر ، الطبعة: الثالثة، 1976م
- الزمخشري ، المفصل في صناعة الإعراب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، المحقق: د. علي بو ملحم ، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت

- السَّمين الحلبيّ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسّمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق.
- ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المؤلف : ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : 769هـ)، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، الطبعة : العشرون 1400 هـ - 1980 م
- العكبريّ ، التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ)، المحقق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الغزيّ ، نجم الدين محمد بن محمد الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، المحقق : خليل المنصور ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة : الأولى . 997 م
- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: 1399هـ - 1979م
- المبرّد ، المقتضب ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة ، الناشر: عالم الكتب . - بيروت .
- ابن مالك ، شرح الكافية الشافية ، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي ، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى
- ابن منظور ، لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
- ابن هشام ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر ، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا
- أبو هلال العسكريّ ، الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت.